كيف تفهم المرأة .. ؟

لازالت المرأة ـ منذ أن ابتلاها الله بالرجل وابتلى الرجل بها ـ عد لغزا كلما اقترب من فلك رموزه ـ أو ظن هذا ـ يكتشف أنه مازال جاهلا بها .

وقد يبغضها أحيانا ويلعنها أو ينعتها بالعقرب أو الحية أو القطة الشرسة ، وقد يصف ذكاءها بذكاء الثعلب ، ووفاءها بالسراب ، وقلبها بالسحاب الذى يتجمع ، وقد يرعد أو يومض ولكنه قليل المطر ، ضئيل العطاء ولكنه يحجب عنا فقط الضياء ، ويمنينا بسقوط المطر والماء .

ورغم ذلك فلازال الرجال مولعا بالمرأة يعشق جمالها ، ويصفها بأنها تجمع استدارة القمر وعمق البحر ، وعطر الورد وضوء الشمس ، وتقلب الريح ولمعان النجوم فى ظلام الليل ، ولطف النسيم وشهد العسل ، وخيلاء الطاووس وهذيان الببغاء وشرود الغزال .

وكم من شاعر عاشق حلق بخياله فوضعها فى مصاف النجوم ، وكم من شاعر يائس فى حبه وصفها أنها كالزمن لا يدوم على حال . مجلبة للراحة ساعة ، ولكنها تأتى بالقلق والحزن والغدر والهموم .

والحديث عن عالم المرأة لا يمله الرجل رغم تكراره ، ولا يسأمه العاشق فى ليله أو نهاره !!

والمرأة من المنظور الإسلامى شقيقة الرجل فى الإنسانية والإسلام لها مثل ما له وعليها مثل ما عليه ، وقد أوضح الإسلام عدة حقائق ينبغى ألا يغفلها الخاطب (الرجل) عن خطيبته والزوج عن زوجته :

[١] المرأة ليست كالرجل فى هيئتها الجسدية .. أو قدرتها الانفعالية .. أو توظيفها لمشاعرها الإنسانية ، وذلك لأن لكل منهما دورا مميزا عن الآخر مكملا ـ لا مغنيا ولا نافيا ـ له ، ومن ثم قد زود الله المرأة برقة المشاعر والأحاسيس ، وسرعة الاستجابة العاطفية وذلك أن مهمتها متصلة بالأبناء براعم الغد ، والذين يحتاجون فى سنوات عمرهم الأولى إلى الاستجابة الفطرية اللاإرادية لتلبية حاجات

الطفل الأولية غير القابلة للإرجاء أو التأجيل وإلا تعرضت حياته للمخاطر .

وحين تمارس المرأة دور الأمومة بمهارة واقتدار فإنها تشعر بالسعادة والفخر وتحقق ذاتها ، وهذا ينسجم مع قدرات المرأة الطبيعية التى فطرها الله عليها . أما إذا تمردت المرأة على وظيفتها الأساسية وارتدت ثوب الرجل وتأففت من عملها ، فإنها تعد حينئذ امرأة غير سوية .. !!

بينما زود الله سبحانه وتعالى الرجل بالعقل والإرادة والانضباط والقوة العضلية ، وذلك لأن وظيفته سيكون محورها الجهاد فى دروب الأرض والسعى فى مناكبها ، ومن ثم مواجهة المخاطر والصعاب التى لا تحتاج إلى بكاء كثير أو انفعالات زائدة حتى يحقق الرجل نجاحه وانتصاره ويأتى بالرزق لنفسه ولأهله ، من خلال توكله على الله وأخذه بالأسباب !!

ومن المعروف أن أكثر ما يؤلمها ويوجعها ويؤرقها (أى المرأة) هو عدم تحقيق كينونتها فى الأمومة ، لكونها عاقرا محرومة من أبناء ترعاهم وتخدمهم ، وأكثر ما يؤلم الرجل الحصيف ويوجعه هو عدم عثوره على عمل مناسب أو مجال يحقق فيه رجولته وكفاحه ، ويجد فيه ربحا مجزيا يحقق به آمال وأحلام أسرته !!

ما معنى كل هذا يتفق مع طبيعة كل منهما السوية والفطرية !!

[٢] المرأة بطبيعتها قاصرة فى العقل ، ناقصة فى الدين : هكذا أخبر رسول الله ﷺ "**... وما رأيت من نواقص عقل قط ودين أذهب بقلوب ذوى الألباب منكن ، أما نقصان دينكن فالحيضة التى تصيبكن تمكث إحداكن ما شاء الله أن تمكث لا تصلى ولا تصوم فذلك نقصان دينكن ، أما نقصان عقولكن فشهادتكن إنما شهادة المرأة نصف شهادة**"(١) .

وقال ﷺ : "**المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج**"(٢) ..

وقال ﷺ : "**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد ،وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**"(٣) ..

---

(١) رواه مسلم بنحوه (٧٩) ، وأبو داود فى السنة (١٥) ، وابن ماجة فى الفتن (١٩) ، وأحمد (٦٧/٢) .
(٢) رواه البخارى . كتاب النكاح (فتح / ٨٤ / ٥) .
(٣) رواه أحمد فى المسند (٣٩٤/٤ ، ٤٠٩) ، ولفظ خديجة بنت خويلد ذكره ابن كثير .

[٣] المرأة عنصر حيوى وأولى فى الوجود الإنسانى والعطاء الإيمانى والأسرى لا غناء عنها ، وعليك أن تتحملها فى مقابل عثورك على عطاء وأخذك مميزات منها ، وتنفرد المرأة عن الرجل بعدة صفات منها :

أ - **سرعة الاندفاع** .. وعدم التدقيق فيما ينقل إليها من أخبار ذات مغزى وعدم استنباطها لبواطن الأمور ، أو ما يكتب بين السطور .

ب - **الظن السيئ بالزوج بسرعة رغم عدم وجود ما يؤكد ظنونها** ، وربما يعود ذلك لحبها لامتلاك قلب الزوج وجوارحه وسيطرتها عليه وقل أن تجد امرأة تثق بأن زوجها حين يتزين للخروج من المنزل يتزين من أجل لقاء أصحابه ، وليس من أجل أن ينال إعجاب غيرها من النساء ، وقلما تجد امرأة .. قديما أو حديثا ـ تخلو من تلك الصفة وإليك دليل ذلك :

يروى أن جرير بن عبد الله البجلى شكا إلى عمر بن الخطاب ما يلقى من النساء ، فقال : لا عليك فإن التى عندى (زوجته) ربما خرجت من عندها فتقول إنما تريد أن تتصنع لقيان بنى عدى (أى لجوارى موجودات فى عشيرته) .. فسمع كلامهما ابن مسعود فقال : لا عليكما فإن إبراهيم عليه السلام شكا ربه رداءة فى خلق سارة فأوحى الله إليه أن البسها على لباسها ما لم تر فى دينها وصمة (أى تحملها وتقبلها على ما بها من صفات حميدة أو مذمومة ما لم تأت بمعصية الله ورسوله) .. فقال عمر له : إن بين جوانحك لعلما !!

وقال ﷺ : **"لا يفرك مؤمن مؤمنة ـ أى لا يبغضها ـ فإن كره منها خلقا رضى منها آخر"**[١]

ويروى أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : لما كانت ليلتى التى كان النبى ﷺ فيها عندى ، انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع . فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويدا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويدا فجعلت درعى فى رأسى ، واختمرت ، وتقنعت إزارى . ثم انطلقت على إثره . حتى جاء البقيع فقام . فأطال القيام . ثم رفع يديه ثلاث مرات . ثم انحرف فانحرفت . فأسرع فأسرعت . فهرول فهرولت . فأحضر فأحضرت . فسبقته فدخلت . فليس إلا أن

---

(١) رواه مسلم ـ كتاب الرضاع (٦٣) ، وفى أحمد فى المسند (٣٢٩/٢) .

اضطجعت فدخل . فقال "**مالك ؟ يا عائش ! حشيا رابية!**" قالت : قلت : لا شيء. قال "**لتخبرينى أو ليخبرنى اللطيف الخبير**" قالت : قُلت : يا رسول الله ! بأبى أنت وأمى ! فأخبرته . قال : "**فأنت السواد الذى رأيت أمامى؟**" قلت : نعم . فلهدنى فى صدرى لهدة أوجعتنى . ثم قال "**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟**"(١)

قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله . قال : **نعم** ..

[٤] الغيرة .. جبلت المرأة على أن تغار ممن تماثلها أو تفوقها جمالا أو فكرا أو مكانة اجتماعية وغيرها ، والغيرة فى عالم الرجل معلومة ولكنها أقل بروزا وأخف وطأة وأثرا منها فى عالم المرأة ..

قالت عائشة : ما رأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت إلى النبى ﷺ إناء فيه طعام ، فما ملكت نفسى أن كسرته ، فقلت : يا رسول الله ما كفارته ؟ فقال : "**إناء كإناء وطعام كطعام**"(٢) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : "ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها ، وقد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها من قصب"(٣)

وتقول عائشة رضى الله عنها كذلك : "كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى : ﴿**تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا**﴾ [الأحزاب : ٥١] قلت والله ما أرى ربك إلا يسارع لك فى هواك"(٤)

وقالت عائشة : (زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بينى وبينها ، إحدى رجليه فى حجرى والأخرى فى حجرها فعملت لها حريرة أو خزيرة ، فقلت كلى فأبت ، فقلت : لتأكلى أو لألطخن وجهك فأبت ، فأخذت من القصعة شيئا

---

(١) رواه مسلم ــ كتاب الجنائز (١٠٣) وهو جزء من حديث طويل. فأحضر فأحضرت ، أى فعدا فعدوت. وحشيا رابية: يبدو عليها أثر الإسراع فى المشى.

(٢) رواه أحمد فى المسند (١٤٨/٦) .

(٣) رواه البخارى فى كتاب النكاح (فتح / ٥٢٢٩) .

(٤) رواه البخارى ــ كتاب التفسير (فتح / ٤٧٨٨) ، ومسلم فى الرضاع (٤٩) ، والنسائى فى النكاح .

فلطخت به وجهها فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد منى فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهى ورسول الله ﷺ يضحك ، فإذا عمر يقول : يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر فقال لنا رسول الله ﷺ : **قوما (لعائشة وسودة) فلا أحسب عمر إلا داخلا"** .

ولأنك لست نبيا فى طبيعتك ، ولأن زوجتك ليست عائشة كذلك ، فاعلم أن الغيرة فطرة جبلية فى كل النساء . فلا تسرف فى مديح امرأة أخرى أمام زوجتك أو تبدى إعجابك بها (حتى ولو كانت أمك أو أختك أو زوجة أخيك) حتى تتجنب عواقب الغيرة وإلا فأنت المسئول !!

[٥] حب اللهو .. عن عائشة رضى الله عنها قالت : "رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا التى أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السِّن الحريصة على اللهو"[١]

وقد يعجب الزوج حين يرى زوجته تلعب بدمى لها (عرائس) كن فى حوزتها منذ صغرها أو اشترتهن لصغيرها القادم ـ حتى قبل أن تحمل به فى بطنها ـ أو يراها تلعب مع فتيات صغيرات فيأخذ العجب منه كل مأخذ .

ولكن فليعلم كل زوج أن بداخل كل امرأة طفلة صغيرة كامنة فى أعماقها نابضة فى صدرها ، متحدثة بلسانها ، وإن حاولت جاهدة أن تخفيها .

ولا غبار فى هذا الأمر ما لم يؤثر فى وظائف المرأة الحيوية فى البيت وحقوق الزوجية ، وتروى السيدة عائشة رضوان الله عليها : "كنت ألعب بالبنات فى بيت رسول الله ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى ، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه ، فيسر بهن إلى فيلعبن معى"[٢].

وعنها أيضا تقول : (كنت ألعب بالبنات فإذا رأين رسول الله ﷺ فررن ، فيقول رسول الله ﷺ : **"كما أنت وكما أنتن"** أى ليستمروا فى اللعب دون خوف منه)[٣].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفى سهوتها ـ بيت صغير ـ ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات

---

(١) رواه البخارى ـــ كتاب النكاح (فتح / ٥٢٣٦) .
(٢) رواه البخارى ـــ كتاب الأدب (فتح / ٦١٣٠) .
(٣) رواه أبو داود بنحوه (٤٩٣١) .

لعائشة لُعبٍ فقال : **"ما هذا يا عائشة؟"** قالت : بناتى ورأى بينهن فرسًا له جناحان من رقاع ، فقال : **"ما هذا الذى أرى وسطهن"** قالت : فرس . قال : **"ما هذا الذى عليه؟"** قالت : جناحان . قال : **"فرس له جناحان ؟"** قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ، قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه)[1].

وقد يرفض مبدأ اللهو واللعب مع الزوجة الصغيرة فى السن بعض الرجال تكبرًا أو أنفة خجلا ، وتجدهم يحبون أن يتظاهروا بالورع والخشوع ، فيقطبون جبينهم ويرسمون الحزن والكآبة على وجوههم وتثيبس البسمة أو تموت على شفاههم . ما أغلظ قلوبهم !! وما أتفه عقولهم !! وما أكذب أحاسيسهم ومظاهرهم الخادعة ! ألا فليسمعوا ما قاله أتقى عباد الله على الأرض وسيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام : **"كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب ولهو إلا أربع : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين الغرضين ، وتعلم الرجل السباحة"**[2].

وقوله ﷺ لجابر بن عبد الله : **"أتزوجت بعد أبيك** .. فقال جابر :نعم . فقال له : **أثيبا أم بكرا** ؟ . قال جابر : ثيبا . فقال الرسول ﷺ : **"فهلا بكرا تضاحكك وتضاحكها ، وتلاعبك وتلاعبها"**[3]

وقد سابق عليه الصلاة والسلام عائشة يوما فسبقته (أى يتسابقان فى الجرى وحدهما فى سفر) ، ثم خرجت معه فى سفر آخر بعد أن زاد وزنها فقال لأصحابه : **تقدموا** ، ثم قال لعائشة : **تعالى أسابقك ، فسابقها فسبقها تلك المرة** . فقال لها : **هذه بتلك** ،وضرب بيده على كتفها".

عزيزى الزوج .. روِّح قلبك ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت ، ولا تنس أن الله لا يمل حتى تملوا ، ولا تضيق على نفسك فيضيق الله عليك ، ولا تشدد على أهلك أمر الحياة وتعسرها فيشد الله عليك !!

فإن لربك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه ؛ فإن المرء إذا لم تشبع حلاجاته فى الحلال قد يفكر فى إشباعها بطريقة خطأ فى الحرام لا قدر الله .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٣٢) . والبيهقى فى السنن (٢١٩/١٠) . رواه النسائى (كتر / ٢٠٦١٢) .
(٢) رواه البخارى فى الجهاد (١١٣) والنكاح (١٠) ومسلم فى الرضاع (٥٤) وما بعدها ، وأبو داود .
(٣) الترمذى (١٤) فى النكاح .

[٦] حب الافتخار .. غنى عن البيان أن كل إنسان يحب أن يفخر بشيء على أقرانه يعزز به شأنه ويرفع مكانه ، ومن ثم كان عطاء الله متنوعا وعظيما وكريما ، حتى لا يستأثر فرد بكل شيء ويسلب آخر كل شيء ، فهذا أعطى مالا ، وذاك أعطى علما ، وثالث أعطى عقلا راجحا ، ورابع أعطى دهاء وذكاء ، وخامس أعطى أبناء كثيرين ، وسادس أعطى نعمة الصحة ، وسابع أعطى حسبا ونسبا .

وتجد أن كل إنسان قد أعطى أشياء وحرم من أخرى حتى يظل في احتياج إلى خالقه ، ودوما يلتفت حوله ويطلب ما سلب منه أو تعذر عليه أن يمتلكه ، فيسأل من حوله فيجدهم بخلاء أو جبناء أو متقلبين يعطونه يوما ويمنعونه آخر .

فيجد أنه لا مناص من اللجوء إلى رب السماوات والأرض الذى لا يغلق بابه أمام أحد ، ولا يغفل أو ينسى أحدًا من خلقه ، من يفرح إذا سئل ويعطى ، ويغضب إذا لم يسأل !!

والنساء أكثر حاجة للفخر من الرجال . إما بجمالهن أو ثرائهن ، أو حسبهن ، أو نسبهن !! والقليل من يفخرن ويعتززن بدينهن والتزامهن أكثر من فخرهن بشيء آخر !!

لذا فرغم إيمان المسلمات وتقواهن لله . قد تجد بعضهن يتصرفن على طبيعتهن المجردة من الوعى الإيمانى والعمق الإنسانى القيمى الأصيل ، لذا قد يكون أبلغ جواب على امرأة تفتخر على قريناتها بأن تواجه بعيب فيها أو بميزة فى غيرها لا تملكها حتى ترتدع عن سلوكها هذا المبغض للنفس !!

ولقد كانت زينب بنت جحش تفخر على نساء النبى ﷺ أن الله أنكحها رسول الله ﷺ دون غيرها من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن جميعا ، وفيها نزلت آية الحجاب[1].

وكانت عائشة تفخر بأنها الوحيدة البكر التى تزوجها الرسول ﷺ ، وغيرها قد سبق لهن النكاح .

وكانت حفصة تفخر بأنها ابنة عمر بن الخطاب ، وذات يوم كانت عائشة وحفصة يغيظان أم المؤمنين صفية لأنها كانت من أصل يهودى وحسناء !! فبكت فدخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى فقال : **ما يبكيك** ؟ فقالت : قالت لى حفصة

(١) رواه البخارى ـــ كتاب التوحيد (٢٢) والترمذى فى التفسير (٣٣) .

بنت يهودى . فقال النبى ﷺ : **إنك لابنة نبى وإن عمك نبى وإنك لتحت نبى فبم تفخر عليك ؟** ، ثم قال : **اتق الله يا حفصة**"[1].

وفى رواية قولى لهن : إن أبى هارون ، وعمى موسى ، وزوجى محمد فأنى لكن بالأنبياء !!

وعن أسماء أن امرأة قالت : يا رسول الله إن لى ضُرة فهل على جناح إن تشبعت من زوجى بغير الذى يعطينى ، فقال عليه السلام لها : "**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور**"[2]

[٧] حب الخروج لقضاء الحاجة ..روت عائشة رضى الله عنها أن سودة بنت زمعة خرجت ليلا فرآها عمر بن الخطاب فعرفها فقال : إنك والله يا سودة ما تخفين علينا . فرجعت إلى النبى ﷺ فذكرت ذلك له وهو فى حجرته يتعشى وإن فى يده لعرقا .. فأنزل عليه فرفع عنه وهو يقول : "**قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن** ، وقال : **إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**"[3].

[٨] الثرثرة وحب وصف النساء الأخريات .. جبلت المرأة أن يستلفت نظرها ، ويسترعى اهتمامها جمال الأخريات فتنعتهن من باب الإعجاب أو الغيرة أو التهوين أو التهويل من شأن جمالهن وحسنهن !!

ولكن رحمة الله بعباده وقلوبهم وعواطفهم تدخلت كعادتها لترحم الرجال من وساوس الشيطان ونداء الغريزة الفطرى وحب استكشاف المجهول ، واستطلاع عوالم أخرى قد تكون محرمة عليه مجرد الاقتراب منها ، فما باله بلمسها أو تذوق طعمها !!

ولأن الإنسان خُلق ضعيفا ، ومن ثم وجب عليه عدم تغذية نقاط الضعف أو الطرق عليها وإثارتها ، وقد تكون الزوجة للأسف الشديد هى معول الهدم لحياتها أو انحراف زوجها أو زواجه بغيرها من كثرة نعوتها لبهاء امرأة أخرى ، وإسبال صفات الكمال عليها .

لذا نهى الإسلام المرأة أن تكون ثرثارة مع زوجها وتصف له امرأة أخرى كأنه

---

(١) الترمذى فى المناقب (٦٣) ، وأحمد (١٣٦/٣) .
(٢) رواه البخارى فى النكاح (١٠٦) ، ومسلم فى النكاح (١٢٧/١٢٦) ، وأحمد (١٦٧/٦) .
(٣) رواه البخارى (١١٨) ، وأبو داود فى النكاح (٤٣) ، وأحمد (٣٨٧/١ ، ٤٣٨) .

يراها ، حتى لا يتعلق بها قلبه أو ينشغل بها فكره . قال رسول الله ﷺ : "**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**"[1].

[٩] احذر أن تخون امرأتك .. الخيانة .. وما أدراك ما الخيانة ؟ .. أقبح قبيح .. وأرجس رجس .. وأدنس دنس .. وأظلم من الظلام .. وأفحش ما يوصف من الكلام .والخائن يحيا فى ظل نزواته ويستضىء بضوء شهواته ، ويدير ظهره لكافة الشرائع السماوية والأعراف الخلقية والقيم الإنسانية .

ولا شك أن مردودات ثقة المرء بمن حوله تعين مخالطيه على أن يحافظوا على تلك الثقة فلا يبددوها ، وعلى الأمانة فلا يضيعوها ، وعلى الشرف والكرامة فلا يلوثوها . أما إذا افترض المرء سوء الظن وخبث النية فيمن حوله ، فإنه يحيل كل شىء إلى لا شىء .. والهواء العليل إلى رياح عاصفة ، ومياه النهر المنسابة بهدوء إلى فيضان عارم يهدم كل ما يعترض طريقه ويقتلعه من جذوره !!

لذا فقد نهى الإسلام عن الريبة دون سبب واضح ، وعدها ريبة مذمومة يبغضها الله ورسوله ، لأنه يترتب عليها تتبع العورات ، والتماس العثرات للشخص المرتاب فيه ، وإن كان الإسلام ذم هذا الصنف من الريبة فقد أباح الريبة إذا كان ثمة خطأ فى السلوك أو ضعف فى الإرادة .

ومن ثم يجب على الزوج العاقل أن يتفهم امرأته جيدا ، ويدرك مدى وعيها والتزامها وتطبيقها لأوامر الله سبحانه وتعالى ، وبالتالى يحسن تقييم قدرتها العقلية والإيمانية على مواجهة بعض أنواع الخطوب إذا أتت أو المصائب إذا نمت ، وعليه أن يبدأ بالثقة قبل الشك ، وحسن النية قبل سوء الظن ، فالإنسان المتهم برىء حتى تثبت إدانته ، وليس الإنسان البرىء متهما حتى تثبت براءته !!

وقد نهى الرسول ﷺ الرجل أن يطرق باب أهله وزوجته ليلا بعد طول سفر مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم ، قال رسول الله ﷺ : "**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا**"[2].

وقال عليه الصلاة والسلام : "**أمهلوا حتى تدخلوا ليلا أى عشاء لكى تمتشط الشعثة ، وتستحد المغيبة**"[3].

---

(١) رواه البخارى ــ كتاب النكاح (٥٢٣٨) .

(٢) رواه البخارى ــ كتاب العمرة (١٦) ، والنكاح (١٢٠) ، ومسلم فى الإمارة (١٨٠) والترمذى فى الاستئذان (١٩) .

(٣) رواه البخارى فى النكاح (١٠/١٢١/١٢٢) ، ومسلم فى الرضاع (٥٨) ، والإمارة (١٨١) .

[١٠] حب الكيد .. قال تعالى : ﴿إِنَّهُ مِـــن كَيْدِكُـــنَّ إِنَّ كَيْدَكُـــنَّ عَظِيـــمٌ﴾ [يوسف : ٢٨] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٥٠] ، وقـال ﷺ وهو فى فراش الموت : ".. **مروا أبا بكر فإنكن صواحب يوسف**"[١]

ورب سائل يسأل وكيف ذلك ؟ وهل تكيد المرأة المؤمنة ؟ أو هل تختلق الزوجة المؤمنة يوما ما أمرًا غير صادق ؟ .. والجواب : نعم ، فالكمال الإنسانى مازال حلمـا لم يرق إليه إلا الرسل والأنبياء والقليل ممن عاصروهم أو من يحذون حذوهم ، فما بالنا بالنساء !! . فالمرأة إذا أثير غضبها أو حفيظتها .. أو تحركت لديها دوافع الغيرة أو الانتقام ، فقد تنسى أو تتناسى كل قيمها التـى تنتمـى إليـها ، وتنحـو حينئـذ منحى خاصا بها مغايرا تماما لما ألفه الناس عنها .

ولكـــن المؤمنـــة التقيـــة أســـرع النـــاس للعـــودة إلى طبيعتـــها وفطرتـــها النقية ،والاستغفار والتوبة إلى الله ، والندم على مـا حـدث ، وقـد يكـون توجهـها العدوانى أو الانتقامى أخف وطأة وأقل عنفا من مثيلاتها غير المؤمنـات ، وإليـك تلك الحادثة التى تؤكد ما نقول :

تقول عائشة ـ رضى الله عنـها ـ أن النبـى ﷺ كـان يمكـث عنـد زينـت بنـت جحش ، ويشرب عندها عسلا ، فتواصيت أنـا (أى عائشـة) وحفصـة أيتنـا دخـل عليها النبى ﷺ فلتقل : إنى لأجد منك ريح مغافير .. أكلت مغافير .. فدخل علـى إحداهما فقالت له ذلك فقال : "**لا بأس شربت عسلا عند زينت ابنة جحش ، ولن أعود له**" ، فنزلت الآية ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِـــي مَرْضَـــاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التحريم : ١] إلى قوله تعالى : ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِـــبْرِيلُ وَصَـــالِحُ الْمُؤْمِنِـــينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ [التحريم : ٤] لعائشة وحفصة .. ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِـــيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**﴾ [التحريم : ٣] لقوله : "**بل شربت عسلا**"[٢].

وفى رواية أخرى : أن عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة هـن اللاتـى اتفقـن ، وقلن للرسول ﷺ إن رائحة فمه كريهة من جراء ما أكل أو شرب حتى ينفـر مـن شرب العسل ، ولا يتغيب عند زينت مرة أخرى كعادته .

---

(٢) رواه البخارى ـــ كتاب الأنبياء (١٩) ، والترمذى فى المناقب (١٦) .
(٣) رواه البخارى ـــ الطلاق (٨) ، ومسلم (٢٠) ، وأبو داود فى الأشربة (١١) .

وهكذا .. ولأنك لست نبيا .. ولأن زوجتك ليست بعائشة (طهرا وعفة وصدقا وأمانة) فقد دفعت الغيرة عائشة أن تكذب على رسول الله ﷺ وتقول إن رائحة فمه كريهة نتيجة لما طعم ، وأقنعت حفصة أن تقول كقولها رغبة فى تنفيره من شرب العسل الذى كانت تقدمه زوجة أخرى له فيتأخر عندها .

فهل زوجتك أفضل من عائشة ؟ .. إن الجواب لا ، فاجعل قدرا من الشك ، ونسبة من الخطأ فيما ترويه امرأتك ، بهدف إثارتك أو التأثير على مجريات أمورك وتصريفك شئون حياتك حتى لا تظلم بريئا ، أو تقطع صلة رحم يحاسبك الله عليها فى الدنيا والآخرة .

[١١] حب المشاكسة .. أحيانا قد تمضى المرأة وراء عواطفها ، أو يدفعها الشيطان لإثارة الضغائن بينها وبين زوجها ليعكر صفو الحياة بينهما ، وليدب الشقاق بينهما ، وليتبعه النفور والفراق بعد ذلك .

والمرأة هى المرأة .. بتقلبها وتعجبها وإصرارها وجمالها وقبحها ، لا تختلف كثيرا عن طبائعها الأصيلة فيها ، أو خصالها العميقة . فقد غضب الرسول ﷺ على زوجاته يوما واعتزلهن جميعهن شهرا كاملا ، وأقام فى حجرة منعزلة عنهن ، ولما عاد إليهن ابتدرته عائشة بقولها : يا رسول الله آليت شهرا ، وفى رواية (إنك حلفت أن لا تدخل علينا شهرا ، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا) فقال الزوج الكريم والمعلم العظيم ﷺ : "**إن الشهر يكون تسعة وعشرين**"[1].

(أى أن الهلال قد ظهر والشهر قد ولى كاملا ، وهو ليس ثلاثين يوما بل تسعة وعشرين) .

لذا فليعلم الزوج أن حب المشاكسة جبلة أنثوية ، وإن لم تظهر فى أول الزواج سرعان ما تجد طريقا لها تنفث به عن نفسها ، أو تجد مخرجا لها من الأعماق وتطفو على السطح !!

[١٢] كثرة عدد النساء عن الرجال .. هكذا تقول إحصائيات الدول والبلاد والأمم المتحدة ، وربما يرجع ذلك لكثرة الحروب وفناء كثير من الرجال فيها ، أو لكثرة تعرض الرجال لمخاطر الأعمال الشاقة .

---

(١) البخارى فى الصوم (١١)، ومسلم فى الصيام (٢٢ حتى ٢٥)، والنسائى (١٤)، وابن ماجة فى الطلاق (٢٤) .

وهذا ما يؤكده الإسلام حيث يقول ﷺ : **"يقل الرجال ويكثر النساء ، وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون نسوة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء"**[1].

وقال عليه الصلاة والسلام : **"إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد"**[2].

وقد أباح الإسلام حلا كريما يصون كرامة وعفة المرأة بأن أباح للرجل القادر نكاح أربع نساء في وقت واحد .. قال تعالى : **﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾** [النساء : ٣] بشرط أن يعدل بينهن فى النفقة والمبيت ، والذى لا يستطيع تطبيق والتزام مبدأ العدل فليكتف بواحدة ، وقد تدفع كثرة عدد النساء عن الرجال أن تتنافس الفتيات فى إظهار الزينة والفتنة والعرى والابتذال بكافة أنواعه وفنونه وجنونه حتى يسرعن الخطى إلى أعتاب الحياة الزوجية ، وقد تبادر إحداهن بعرض نفسها على رجل متزوج وتدعوه إلى أن يخادنها فإن اطمأن إليها فليتزوجها ولا بأس من ذلك فالنساء كالثمار والزهور .. متنوعة فى أشكالها مختلفة فى مذاقها ورائحتها ، رائعة فى لمسها والاستمتاع بها ، هكذا تقول بعضهم للأسف الشديد !!

وهنا نهمس فى أذن كل رجل قائلين : إن المرأة التى تقبل المخادنة تحت أى مسمى وبحجة أى دافع لا تصلح أن تكون زوجة أمينة وطاهرة تحافظ على بيتها بعد الزواج ، والمرأة التى تسعى للزواج بأى شكل وبأى ثمن لا تصلح لرعاية زوج ، وأبناء بطريقة سوية وإيمانية بعد ذلك !!

طوبى لكل رجل تقى وكل امرأة تقية يقبض كل منهما على دينه كما تقبض اليد على الجمر .. !! طوبى لكل رجل مسلم يرفض أن يخادن أو يتزوج امرأة مبتذلة متبرجة لا تعرف لله حقا أو طاعة !! ، وطوبى لكل امرأة عفيفة تصبر على نصيبها وتأبى محاكاة الخارجات عن الشرع والدين فقد وعد الله تعالى كل من يخافه ويتقيه بالفرج والنصر والرزق الحسن قال تعالى : **﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق ٢ ، ٣] .

---

(١) رواه البخارى ــ كتاب النكاح (فتح / ١١٠) .
(٤) رواه البخارى ــ كتاب العلم (فتح / ٨١ ، ٥٢٣١) ، والترمذى فى الفتن (٣٤) .

[١٣] رفع المرأة صوتها على زوجها .. من الحقائق التى ثبت على مر الزمان أن المرأة كالطفل تستثار بسهولة وترضى بسهولة ولكن لكل قاعدة شواذ يتواجدن فى كل مكان وزمان .

وعادة نجد أن الطفل (أو المرأة) حين يغضب أو يوبخ أو يعاقب بالحرمان من شىء يحبه أو يريده يصرخ ويرتفع صوته ، وقد يهدد أو يتوعد أبويه !! ولكن هذه الطريقة بدائية وساذجة وتتناسب مع عمر الصغير .

وقد نجد بعض النساء لا يتخطين تلك المرحلة بيسر أو بمجرد تقادم العمر .. لذا فقد يفاجأ الزوج بأن زوجته تصرخ فى وجهه أو يرتفع صوتها أحيانًا ، أو تتوعده كالأطفال بالعقاب إذا منعها أو حرمها من نزهة أو شىء تبتغيه !!

فليعلم الزوج حينئذ أن تلك المرأة مازالت فى مرحلة الطفولة الفكرية ، ولم يتم نضجها العقلى بعد ، لذا فليتسع صدر الزوج كثيرا ولا يضيق حتى لا يهدم البيت ، وليلتمس لها أعذارا حتى تستمر الحياة الزوجية ، ولا تتوقف عند أول منعطف فى طريق الأحداث !!

وليتعلم الزوج من هذا الجيل الأول العملاق كيف كان يسوس الرجل زوجته وينجح فى حياته فيحذو حذوهم ، وليرى كيف كان يعين والد العروس زوج ابنته فى تأديبها وإعادتها إلى طريق الطاعة ، لتكون نموذجا مشرفا للمرأة الطائعة لله ولزوجها فى آن واحد !!

استأذن أبو بكر ـ رحمة الله عليه ـ على النبى ﷺ فسمع صوت عائشة عاليا ، فلما دخل تناولها ليلطمها ، وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ، فجعل النبى ﷺ يحجزه ، وخرج أبو بكر مغضبا ، فقال النبى ﷺ حين خرج أبو بكر "**كيف رأيتنى أنقذتك من الرجل؟**" قال : فمكث أبو بكر أياما، ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا ، فقال لهما : أدخلانى فى سلمكما كما أدخلتمانى فى حربكما . فقال النبى ﷺ : "**قد فعلنا قد فعلنا**"[(١)].

ويروى أيضا أن زوجة عمر بن الخطاب راجعته يوما وارتفع صوتها فغضب وقال لها : أتراجعيننى يا لكعة ، قالت : نعم .. إن زوجات رسول الله ﷺ يراجعنه حتى يبيت ليلته غاضبا ، فمضى إلى ابتنه حفصة ؛ فسألها فأقرت بهذا الأمر ، فنصحها زاجرا ألا تقتدى بعائشة فى هذا المسلك فهى أحب زوجاته إليه وابنة

---

(١) رواه أبو داود فى الأدب (٤٩٩٩) .

أحب الناس إليه ..

وذات يوم .. مضى أحد الصحابة يشكو زوجته إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فطرق الباب مرتين ولم يفتح له ، وسمع صوت عمر وامرأته يتشاجران ، فطرق الثالثة ومضى ثم فتح عمر بن الخطاب الباب ، فرأى الرجل موليا فناداه ، وقال له : ما بك ؟ ، قال : جئت أشكو إليك زوجتى ترفع صوتها على فوجدت حالك ليس خيرا من حالى !! فقال له : يا هذا .. إنى أتحملها لحقوق لها علىَّ فهى طباخة طعامى .. غسالة ثيابى .. مربية أولادى ألا أتحملها بعد كل هذا ؟! ، فقال الصحابى : وزوجتى هى الأخرى تصنع ذلك .. قال عمر : إذن فامض يا أخا العرب وتحملها لهذا !! .

[١٤] حب المرأة أن يتزين لها زوجها ويتجمل .. عجيب أمر هذا الدين ، وكل أمره عجب . ما ترك شاردة أو واردة ـ فيها صلاح للرجال والنساء ، إلا وأمر بها . ما ترك صغيرة ولا كبيرة تفسد عليهم حياتهم إلا ونهاهم عنها ، وكما يبغض الرجل المرأة القذرة ويعافها ، فإن المرأة كذلك تكره منظر الرجل القذر وتأبى معاشرته !! فللمرأة عين وأنف وقلب تحب كل جميل وتدنو منه .. وتأفف من كل كريه وتنأى عنه مثل الرجل تمامًا .

وقد حدث فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حادثة تدق ناقوس الخطر أمام كل زوج لا يهتم بمنظره أن يكون وسيما أو مقبولا ، ورائحته أن تكون طيبة ..

قد جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين ، ومعها زوجها أشعث أغبر ، وقالت : يا أمير المؤمنين لا أنا ولا هذا خلصنى منه .. فنظر إليه عمر ، وعرف ما كرهت منه فأشار إلى الرجل وقال لأحد جلسائه ، اذهب بهذا وحممه وقلم أظافره وخذ من شعره وائتنى به ، فذهب وفعل ذلك ثم أتاه فأومأ إليه عمر أن خذ بيدها ، وهى لا تعرفه فى هيئته الجديدة فقالت : يا عبد الله سبحان الله أبين يدى أمير المؤمنين تفعل هذا ؟ .. فلما عرفته ابتسمت وذهبت معه فقال عمر : هكذا فاصنعوا لهن .. إنهن يحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم .

[١٥] حب الغزل والمديح .. من نافلة القول ، أن المرأة قد طبعت على حب الزينة والتجمل حتى تثير إعجاب من حولها من رجال ونساء ، وتحظى عندهم بمكانة رفيعة يشار لها بالبنان ويقاس عليها إعجاب أو جمال الأخريات ممن هن أقل جمالا ، فيقال هذه جميلة كفلانة ، أو هل تعرفون فتنة وروعة فلانة ، هذه قريبة الشبه منها ، وإذا كانت هذه فطرة بشرية فقد هذبها الإسلام حتى لا تشذ أو تخرج

عن السواء ، فالزينة حلال ومطلوبة من المرأة لزوجها دون غيره من الرجال !! وهى حرام عليها ومرفوضة إذا كانت ستثير شهوة من يلقاها أو ينظر إليها ، وكل إنسان يحب أن يكون رائعا فى أعين من يحبهم ويحبونه ، ولذا فينبغى ألا يبخل الزوج بإغداق الثناء على امرأته إذا تزينت له وتجملت وكانت بالفعل رائعة وفاتنة أمامه !! فإن ذلك يشعرها بالثقة فى نفسها ويجعلها سعيدة مزهوة !!

كذلك إذا أجادت المرأة صنع شىء أيا كان طعاما أو ثيابا أو شرابا ، فلا بأس من أن تشنف أذنيها بمديح صادق وثناء طيب ، وللأسف الشديد كثير من الرجال لا يدخر وسعا فى أن يعبر عما تضيق به نفسه أو لا ترتاح إليه معدته من أصناف الطعام والشراب ولكن لا يكون بنفس الحماس وروعة التعبير وسرعة البديهة إذا ما قدمت له امرأته ما يشتهى أو ما يرغب فى تذوقه !! وإذا أثنى يثنى على ما يأكله أو يتذوقه وينسى الطاهية التى تتوق عيناها وأذناها إلى كلمات مديح على ما قدمته . ترى هل سيتذكر الأزواج أن يقولوا عقب تناولهم وجبة شهية طيبة : نِعمَ الطعام هذا .. ونِعمَ الطاهية أنت !!

ولأن المرأة ظلت عشرين عاما تصنع طعاما لمجموعة من الرجال دون أن يسمعوها كلمة شكر واحدة ، فأتت إليهم ذات يوم ووضعت أمامهم كومة من البرسيم أو الشعير ، فلما أخذ العجب منهم مأخذه وصاحوا فيها : ما هذا يا امرأة ، وهل سنأكل برسيما (أو شعيرا) الآن ؟ .. فقالت لهم : وما يدرينى أنكم تفرقون بين طعام البشر وطعام الحيوانات !! فكل ما أقدمه تأكلونه ولا أدرى بعد هل يعجبكم أم لا ؟ وهل لديكم المقدرة على التمييز بين الجيد والردىء أم كل شىء يتساوى أمام أعينكم ؟ .

عزيزى الرجل : قل لزوجتك دوما جزاك الله خيرًا كثيرًا على ما تصنعينه لنا ، وكن مخلصا فى مديحك لامرأتك إذا أجادت فى عمل شىء . مسرفا فى ثنائك . فلا شىء يستطيع أن يرضى غرور المرأة ويزيدها ثقة ويمنحها السعادة الداخلية والشعور بالأنوثة الكاملة المعطاءة كما يصنع مديح وثناء رجل مخلص محب لها !!

■ وختاما تذكر عزيزى الرجل الزوج هذه الحقائق :

[١٦] ذاكرة المرأة أقوى من ذاكرة الرجل .. فلا بأس من الاستعانة بها فى تذكر مواعيد هامة كالسفر أو الرحلات وبدء الدراسة وموعد تسديد فاتورة الكهرباء والتليفون ، وأشعرها بهذه الميزة وأنه لولا ذاكرتها لفصل تيار الكهرباء

وأظلمت الدار ، ولولا تذكيرها إياك لانقطعت الحرارة عن التليفون وما استطعت أن تتصل بأحد أو يتصل بك أحد كالعادة !!

[١٧] باقة من الورد .. هدية صغيرة بسيطة فى ثمنها كبيرة فى معناها دوما تقدم للمرأة من زوجها عند مناسبة تحبها تعبيرا عن مدى حب الرجل وولعه وتقديره لزوجته .. ترى لو بكر الرجل وابتدر امرأته بشراء حفنة صغيرة أو باقة جميلة من ورود الزينة الصناعية أو الطبيعية ، وهى فى كامل صحتها وعنفوان شبابها ، أليس ذلك أجدى وأنفع فى تقوية أواصر الحب وتأكيد مبدأ التقدير والعرفان بالجميل ؟ . فما عسى المرأة أن تصنع بباقة ورد ، وهى على فراش المرض ؟! .

ترى هل تستطيع عزيزى الرجل أن تغير بعضا من عاداتك التى ألفتها حتى لا تندم بعد ذلك على تقصيرك فى حق حياتك وسعادتك الزوجية ؟؟

[١٨] قطعة من الحلوى أو الشيكولاتة .. أو دمية أطفال صغيرة .. فستان جميل (قماش أو جاهز) .. حذاء جديد .. أى شىء مهما قل ثمنه وخف حمله تقدمه إلى زوجتك من حين إلى آخر ، تعبر لها به عن مدى عمق إحساسك بأهميتها فى حياتك ، سيجعل الحديد الصلب لينا والخط المنحنى مستقيما . والنتوءات الصخرية ملساء !! فلا زالت الطفولة قابعة ساكنة مستقرة فى أعماق المرأة مهما حاولت أو ادعت أو أنكرت ذلك . فهل تستطيع عزيزى الرجل أن تجرب هذا المفتاح كى تفتح طريقا إلى قلب زوجتك ؟!

[١٩] دع امرأتك تتصرف وتتحدث على سجيتها .. دون نقد لاذع ، واتبع طريقة النصح غير المباشر فى إرشادها .. فالمرأة لا تحب أن تكون تلميذة فى حياتها الزوجية وزوجها ناظر ومعلم لها طيلة وقت الدراسة !!

[٢٠] إذا أخطأت امرأتك فى أمر وأساءت التصرف .. وكان مسلكها مجافيا للباقة وحدود المنطق فتمالك أعصابك ، ولا تجعل خطابك عنيفا أو كلماتك جارحة ، فإن ذلك يجعلها تخطئ مرة أخرى وتبرر خطأها ، وقد تصر على حماقتها ورعونتها ، وتكررها لأن المخطئ أو المسىء يجعل كرامته وحديثه وفعله فى كفة واحدة يريدها راجحة دوما . ولذا فابدأ حديثك بواحدة من هذه الكلمات :

"إننى أقدرك وأعرف حقيقة انفعالاتك" ، "كثيرا ما صنعت مثل هذا فى الماضى" ، "الإنسان معذور فيما لا يقدر على ضبطه" ، "كل ابن آدم خطاء وخير

الخطائين التوابون"[1].. هنا يتم فصل الكرامة عن الحديث وعن الفعل ، فالكرامة فى ذهن المسىء ستكون محفوظة فى كافة الأحوال ، وطالما اطمأن المرء (لاسيما المرأة) على كرامته من الجرح فإن لديه استعدادًا لتقبل النقد الهادئ الذى يتبع أسلوب التلميح دون التصريح والتصريح دون التجريح ، وهنا سيسهل على المرأة أن تعترف بما اقترفته من مسلك أهوج وكلمات رعناء وإذا اعترفت بذلك فقل لها: ليست القضية أو الهدف من مراجعة حديث المرء وتصرفه هو الحكم على ما حدث بقدر ما هو اختيار أفضل وتذكر وصية المصطفى ﷺ : **"إن للرفق واللين قوة تفوق الغضب والعنف"** وقوله : **"ما كان الرفق فى شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه"** .. وسئل عن عدد المرات التى يسامح فيها المسلم أخاه المسلم إن أخطأ معه وهو خادم له فى البيت فقال : من سبع إلى سبعين مرة فى اليوم الواحد.

[٢١] أعن زوجتك على أن تتبنى هواية وتمارسها .. أو شجعها على مزاولة نشاط (ما) فى أوقات فراغها مثل القراءة أو الكتابة أو عمل التريكو أو حياكة الأثواب وغيرها ، فإن هذا يسهل عليك خلوتك بنفسك وانشغالك فى عملك ، وتذكر أن الفراغ للرجل غفلة وللنساء غلمة (أى محرك للغريزة والتفكير فى أمر الشهوة) ، وهل كان تعلق امرأة العزيز بيوسف وشغفها به وتدبيرها المكايد لإيقاعه فى شباكها إلا نتيجة الفراغ الذى تعيش فيه !! وأعن زوجتك على أمر تقوى الله وحب العمل الصالح فالنفس إذ لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية .

[٢٢] احذر أن تخبر امرأتك بسر ذى شأن خطير على مجريات أمورك .. أو سر ائتمنك عليه أحد أصحابك وأقاربك .. فإن إفشاء السر خيانة ورعاية العهد والوفاء به من الأمانة ، ورب سائل يقول : ولم لا تؤتمن المرأة على الأسرار وعظائم الأخبار ؟ .. والجواب لأن عاطفة المرأة قوية وقلبها متقلب وهى ثرثارة ، ومزاجها متغير ويخضع كل هذا لمعايير هوائية أكثر منها عقلية وإليك هذه القصة التى تروى فى أساطير القصص الشعبى لنأخذ منها العبرة والدليل :

نادى مناد فى الأسواق : يا معشر الشباب يأمركم مولانا السلطان بذبح آبائكم وأجدادكم المسنين لأنهم عالة على الأمة يأكلون ولا يعملون .. يأخذون ولا يعطون ، ومن يرفض أمر السلطان أو يتلكأ فى تنفيذه يتعرض لأقصى العقاب !! وبالفعل لقى هذا الأمر على قساوته وغرابته استحسانا من غالبية الشباب الذين

---

(١) أخرجه الترمذى ـــ كتاب القيامة (٤٩) ، وابن ماجة فى الزهد (٣٠) ، والدارمى فى الرقائق (١٨) ، وأحمد (١٩٨/٣) .

قاموا بتنفيذه ولكن أحدهم بكى ورفض وقال لأبيه : فلتختبئ يا أبت فى هذا الكوخ الصغير الذى نخزن فيه ما بلى من أثاثنا ومعداتنا ومحال أن أطيع الملك فى هذا الأمر ، ولما سألت زوجة هذا الشاب عن مصير الشيخ الذى اختفى منذ فجر الأمس قال لها زوجها لا عليك .. إنه فى مأمن .. لقد خبأته فى كوخنا الصغير وأستحلفك بالله ألا تخبرى أحدا بهذا الأمر ، فقالت مطمئنة إياه : لا عليك .. ثم دعا الملك شباب البلدة ولما استيقن منهم حسن إذعانهم لأمره وتنفيذهم لطلبه سأل كل واحد منهم أن يأتيه بأحب الناس إليه وكاتم أسراره وحمال جريه وعدوه .. ومن عجز عن الجواب تعرض للعقاب ، واحتار الشباب . ترى من هو حبيب المرء ؟ ومن هو عدوه ؟ ومن هو كاتم أسراره ومن هو حمال جريه ؟ .. منهم من أخذ أولاده وزوجته واكتفى بذكر عدو له بالاسم وتسمية أحد معاونيه ، ولكن الجواب لم يلق استحسانا كبيرًا من الملك ، ولكنه عندما جاء الدور على هذا الشاب الأمين الوفى وجد أن هذا الشاب قد أتى بكلب وحمار وثور وامرأة "!! فسأله عن حبيبه فأشار إلى الكلب ، وقال : هو أوفى المخلوقات لصاحبه وحارسه الأمين ، وعن الحمار قال : هو كاتم الأسرار لا يخبر أحدا أين توجهت به بليل أو نهار ، وعن الثور ، قال : ذاك حمال جريى يسعى معى كل يوم فى الحقل يحرث ويدور بالساقية لا يمل ولا يكل مما ألقيه على عاتقه من مهام فى الزراعة أو سقى الأرض .. ثم سأله الملك عن عدوه فأومأ فقط برأسه مشيرا إلى حيث تقف زوجته ، ولم تنبس شفتاه بكلمة واحدة ، وفوجئ الجميع بعاصفة من الغضب تكاد تقتلع الأخضر واليابس وتلقى به إلى خارج القاعة فدهش الجميع ـ الملك والناس ـ وقالت المرأة : أأنا عدوتك يا خائن يا كاذب !! يا من تدعى أنك قتلت أباك طاعة لمولانا ، وأنت تخبئه فى الكوخ الموجود فى أقصى ناحية الدار .. يا لك من غشاش مخادع .. فتعجب الحضور كلهم وسأل الملك الشاب عن حقيقة ما تقوله المرأة فأجابه بالحقيقة ، وأنه لولا أباه ما كان وما استطاع أن يكون إنسانا ، ولا استطاع الحياة ، وأن الذى أجاب أسئلة الملك فى الواقع هو أبوه الشيخ الحكيم .. فطلب الملك من الجنود أن يحضروه فى الحال وأصدر الملك قرارا تاريخيا وهو يضحك ويقول للشيخ : يا لك من رجل حكيم بحق أحسنت تربية ولدك وأحسنت الإجابة ، يعين هذا الشيخ وزيرا فى الحال . ترى هل كان الشيخ مصيبا فى إجابته أم كان غير ذلك[1] .

(١) بالطبع لكل قاعدة شواذ فى عالم الرجل ولكننا نذكر الصفات الغالبة فقط .